البحوث والدراسات

تَارِيخُ قَبِيلَةِ هُذَيْلٍ بَيْنَ الْجَاهِلِيَّةِ وَصَدْرِ الْإِسْلَامِ

د. محمود محمد السيد خلف

ملخص

أهداف الدراسة: تعد هذه الدراسة دراسة تاريخية عن قبيلة هُذَيْل العربية. فتحدثتُ عن أصلها وأماكن وجودها في شبه الجزيرة العربية، وعن أحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية والفكرية أيام الجاهلية. ثم ألمحت عن مكانتها في صدر الإسلام ومشاركة بعض رجالاتها في حركة الفتوحات الإسلامية، ثم تفرقهم في الأمصار الإسلامية؛ فقد اتخذ بعضهم من الشام أو مصر أو بلاد المغرب العربي مقراً دائماً له؛ فاستطاعوا نشر الإسلام في ربوع تلك البلاد التي استوطنوها وعلموا أبناءها اللغة العربية، ولا غرابة فقد عُدت قبيلة هُذَيْل أشعر القبائل العربية في رأي بعض العلماء.

منهجية الدراسة: طبق في هذه الدراسة المنهج الوصفي.

البيانات وعينة الدراسة: تم دراسة تاريخ قبيلة هُذَيْل في الفترة الممتدة بين الجاهلية وصدر الإسلام.

نتائج الدراسة: إن قبيلة هُذَيْل قد اشتهرت بكثرة شعرائها وصفاء لغتها؛ ولذا احتج اللغويون بكلامها؛ وكانت أولى القبائل العربية التي يُقتدى بها في البلاغة والبيان.

الخاتمة: إن قبيلة هُذَيْل لم تكن من أوائل القبائل العربية التي دخلت في الإسلام، بل عارضته معارضة شديدة، ثم سرعان ما حسُن إسلام رجالاتها فخرجوا مجاهدين في سبيل الله تعالى رافعين راية الجهاد في كل موطن نزلوا فيه. وإن ظلت العلامة البارزة لهم هي تفوقهم العلمي والأدبي.

المصطلحات العلمية: قبيلة، هُذَيل، قِطّاع، سُواع، مَنَاةَ، الرَّجيع، لِحْيَان.

- تم تسليم البحث في 2017/4/30 ، عُدّل في 2017/10/1 ، أجيز للنشر في 2017/11/19.
Doi: https://www.doi.org/10.34120/0382-046-179-010

مقدمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وبعد: فقد كان الوضع السياسي في جزيرة العرب عند ظهور الإسلام وفي أوائل أيامه، قوى مستقلة تخشى القبائل المحيطة بها، ورؤساء قبائل يتحكمون في مناطق نفوذ قبائلهم، ويعيشون على ما يأخذونه من أتباعهم من حق الرئيس على المرؤوس في السلم وفي الحرب، وهم فيما بينهم في خصام وتنافس، لم تتركهم الخصومة إلى الانصراف إلى شؤون رعيتهم، وهم أنفسهم لم يفكروا في الانصراف إلى ذلك. فتدهورت الأحوال، وظهر أفراد ينادون بالإصلاح، وبالتفكير في تحسين الأوضاع وثمت مَن يجيب.

نزل الوحي على الرسول – صلى الله عليه وسلم – في أول العشر الثاني من القرن السابع للميلاد. وظهر الإسلام داعياً العرب – وغيرهم – إلى الإيمان بإله واحد خالق لهذا الكون، وبرسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – وبما جاء به من أوامر وأحكام. فكان ظهوره نهاية للجاهلية، وبداية لعهد جديد، عهد الإسلام.

وبظهور الإسلام على أعدائه في جزيرة العرب، وبقضائه على أهل الردة، أوجد لجزيرة العرب وجهاً جديداً من وجوه الحياة، لم تشهده في حياتها ولم تعرفه. وقد أوجد الإسلام موارد غنية من موارد الرزق، وبسط لهم الأرض من الصين شرقاً حتى المحيط الأطلنطي غرباً، وأخرج سكانها من ديارهم الفقيرة وأنزلهم في ديار غنية كثيرة السكان. وعرفوا بذلك نظماً لم تكن مألوفة عندهم، وأمماً لم يسمع أكثرهم بها، وخرج المؤمنون الأولون إلى خارج جزيرة العرب يحكمون باسم الإسلام؛ حدث كل ذلك في مدة لا تعد طويلة بالنسبة إلى ما وقع فيها من أحداث.

فالإسلام – إذن – نهاية حياة قديمة، وبداية حياة جديدة، وتختلف عن الحياة الأولى كل الاختلاف.

أما عن قبيلة هُذَيْل، فهي إحدى القبائل العربية التي تضرب بجذورها في

أعماق التاريخ، وكانت لها إسهاماتها الحضارية العظيمة في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني، بل الثقافي والفكري أيضاً. لذا، فقد تركت بصماتها على صفحات التاريخ الجاهلي. وبعد ظهور الإسلام كانت قبيلة هُذَيْل إحدى القبائل العربية التي صدت عن دين الله تعالى؛ فلم تسلم وجهها لله إلا بعد فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة. ولكنها بعد إسلامها خرجت مشاركة في عملية الفتح الإسلامي للأمصار المختلفة؛ فنزل بعضهم في بلاد الشام وخراسان ومصر، وواصل البعض الآخر مسيره حتى وصل إلى بلاد المغرب العربي. ثم استقر بهم المقام في هذه البلدان، وقامت على أيدي أبنائها حركة علمية زاهرة استمرت منذ فجر الإسلام حتى الآن.

ولما كان من الصعب – في هذه الدراسة الموجزة – معالجة تاريخ قبيلة هُذَيْل – بالتفصيل – على مر التاريخ، فقد أقصرتُ الحديث على الفترة الممتدة بين الجاهلية وصدر الإسلام، مركزاً – في الوقت نفسه – على دورها الحضاري في الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني والثقافي. وقد طبقت في هذه الدراسة المنهج التحليلي/ الوصفي، محاولاً الإيجاز قدر المستطاع، سائلاً المولى – عز وجل – التوفيق والسداد. وَآَخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

تمهيد:

تقع شبه جزيرة العرب في القسم الجنوبي من القارة الآسيوية، وهي أقصى منطقة من هذه القارة في هذا الاتجاه، تحدها مياه البحار من الشرق والجنوب والغرب؛ فتحدها بادية الشَّام شمالاً، والخليج العربي وبحر عمان شرقاً، والمحيط الهندي جنوباً، والبحر الأحمر غرباً. وهكذا يبدو واضحاً أن المياه تحيط بها من أطرافها الثلاثة فقط، ومن ثم فقد أخطأ مؤرخو العرب وجغرافيوهم حين أطلقوا عليها اسم "جزيرة العرب" (ياقوت، 1991)، والصحيح أنها "شبه جزيرة". وهي تنقسم إلى خمسة أقسام رئيسة، هي: تِهَامَة، ونَجْد، واليمن، والعروض الواقعة بين اليَمَامَة وعُمَان، والبَحْرَيْنِ. وسميت بذلك لاعتراضها بين الْيَمن ونَجْد والْعِرَاق (حسن، 1991).

أما عن مناخ شبه الجزيرة العربية فإنه يميل بشكل ملحوظ إلى الجفاف، الذي يسيطر على أغلب أقسام المنطقة بشكل عام. كما توجد بعض الاستثناءات في المناطق المرتفعة، كما هو الحال في صَنْعاء "باليَمن" التي ترتفع إلى 7000 قدم فوق سطح البحر، وتعتدل فيها الحرارة بصورة تجعل جوها من أحسن أجواء شبه الجزيرة العربية على الإطلاق.

أما المطر، فإنه إلى جانب قلته، لا يصيب المناطق التي ينزل فيها بمعدل واحد من الوفرة أو الانتظام. ففي منطقة عَسِير ينزل منه قدر منتظم يسمح بالزراعة الدائمة في بعض الوديان التي تمتد إلى مسافة 200 ميل من الشاطئ إلى الداخل، وفي مساحات أخرى على الشاطئ ولكنها ليست بهذا الامتداد (فايد، ب – ت).

أولاً – أصل قبيلة هُذَيْل:

تنسب القبائل العربية التي عاشت في النصف الشمالي من شبه الجزيرة العربية، التي تتكون من العرب المستعربة، إلى عدنان؛ باعتباره الجد الأعلى. وكان ذلك القسم الشمالي من الشعب العربي ينقسم بدوره إلى قسمين عظيمين، هما: مُضَر، ورَبِيعَة. ثم يعود كل من هذين القسمين فينقسم أقساماً أخرى أصغر.

امتازت قبائل مُضَر بالضخامة حتى قيل: "أكثر من رَبِيعَة ومُضَر" (السمعاني، 1988) وهيأت هذه الكثرة العددية التفوق المادي والأدبي لقبائل مُضَر، فكانت أهل الكثرة والغلب بالحجاز من سائر بني عدنان، وكانت لهم الرياسة بمَكَّة والبيت الحرام. وفي الإسلام ظهر منهم جماعة من العلماء والمحدثين (القلقشندي، 1980).

ويقسم علماء الأنساب مُضَر إلى قسمين رئيسيين، هما: خِنْدَف (القلقشندي، 1982)، وقَيْس. وتنقسم خِنْدَف بدورها إلى قسمين كبيرين، هما: بنو مُدرِكَة، وبنو طَابِخَة. والذي يهمنا هنا هو فرع بَنُي مُدرِكَة، الذي أنجب (هُذَيْل). وعلى ذلك، فهو: هُذَيْل بن مُدرِكَة بن إلْيَاسِ بن مُضَر (حزم، 2003).

ولد هُذَيْل بن مُدرِكَة ولدين هما: سَعْدِ، ولِحْيَان. أما سَعْدِ بن هُذَيْل فقد أنجب، أربعة من الأبناء، وهم: خُرَيْب (قتيبة، 1992)، وخُنَاعَة، ورُهْم،

وتَمِيم (البلاذري، 1996). فولد تَمِيم ثلاثةً من الأبناء، وهم: عَوْف، ومُعَاوِيَة، والْحَارِث (الكلبي، 1983). وإلى الأخير ينتمي بنو مسعود، وهم ثلاثة من الإخوة: عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُود، وعُتْبَةَ بنِ مَسْعُود، وعُمَيْس بن مَسْعُود بن غافِلِ بنِ حبيبِ ابنِ شَمْخِ بنِ قارِ بنِ مخزومِ بنِ صاهِلَةَ بنِ كاهِلِ بنِ الحارِثِ بنِ تَميم بنِ سَعْدِ بنِ هُذَيْل (خلدون، 1988).

صفوة القول: إن ما ذكرته هو خلاصة آراء علماء الأنساب في نسب قبيلة هُذَيْل. وهي آراء لا أستطيع أن أذهب مذهبهم في أنها جاهلية قديمة، وأنها على هذه الصيغة كانت معروفة قبل الإسلام، وإن قالوا: إنهم توارثوها عن الجاهليين، ونقلوها عن المشتغلين بالنسب في الإسلام والجاهلية كابراً عن كابر، ولا أستطيع – أيضاً – أن أزعم أنها تمثل أنساب القبائل على نحو ما دونت وصُنِّفت في الديوان بأمر الخليفة عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ – رضي الله عنه –. فلم أجد في أقدم ما انتهى إليّ من كتب النسب إشارة تفيد أن ما قصوه علينا وما ذكروه في النسب، منتزع من سجلات ديوان الخليفة المذكور.

ثانياً – الأحوال السياسية لقبيلة هُذَيْل قبل الإسلام:

كان التكوين القبلي أحد الأشكال السياسية في شبه الجزيرة العربية، ولا أعني هنا التكوين القبلي بمفهومه الاجتماعي، فقد وجدت القبائل كوحدات اجتماعية في كل أرجاء شبه الجزيرة العربية، ولكني أعني التكوين أو الشكل القبلي الذي تصبح فيه القبيلة إلى جانب وظيفتها الاجتماعية وحدة سياسية كذلك، تتصرف بوصفها كياناً سياسياً قائماً بذاته، سواء في أمورها الداخلية أو في علاقاتها الخارجية بما يدخل في ذلك من حرب وسلام واتفاقات وتحالفات ومناورات وغير ذلك من أشكال هذه العلاقات.

كان الوضع السياسي في جزيرة العرب عند ظهور الإسلام، يحكمه قوى مستقلة تخشى القبائل المحيطة بها، ورؤساء قبائل يتحكمون في مناطق نفوذ قبائلهم، ويعيشون على ما يأخذونه من أتباعهم من حق الرئيس على المرؤوس في السلم وفي الحرب، وهم فيما بينهم في خصام وتنافس، لم تتركهم

الخصومة من الانصراف إلى شؤون رعيتهم، وهم أنفسهم لم يفكروا في الانصراف إلى ذلك؛ فمن ثم فقد تدهورت أحوالهم السياسية.

وتعد قبيلة هُذَيْل إحدى القبائل العربية الكبيرة التي ظهر نفوذها في القرن السادس للميلاد (جواد، 2001)، فكان لها شأن كبير فيما يقع من أحداث جسام تقع في أرض شبه جزيرة العرب، فإليهم يرجع القول، ومنهم يؤخذ الرأي. ودليلنا على ذلك ما ذكره أهل السير من أن أَبْرَهَة الْحَبَشِيّ توَّج "مُحَمَّد بن خُزَاعِيّ بنِ خُرَابَة الذَّكْوَانِيّ"؛ وكان قد جاءه في نفر من قومه، مع أخ له، يقال له: "قَيْسُ بنِ خُزَاعِيّ"، يلتمسون فضله، فأَمَّرَه على مُضَر، وأَمرَهُ أن يسير في الناس، فيدعوهم في جملة ما يدعوهم إليه إلى حج "الْقُلَّيْسِ" بِصَنْعَاءَ، فسار محمد بن خُزَاعِيّ، حتى إذا نزل ببعض أرض بَنِي كِنَانَةَ، وقد بلغ أهل تِهَامَة أمره، وما جاء له، بعثوا إليه رجلاً من هُذَيْل، يقال له "عُرْوة بنِ حِيَاضُ" فرماه بسهم فقتله. وكان مع محمد بن خُزَاعِيّ أخوه قَيْس، فهرب حين قُتل أخوه، فلحق بأَبْرَهَة، فأخبره بقتله، فغضب وحلف ليغزون بني كِنَانَةَ وليهدمن البيت الحرام (الأزرقي، 2003).

وعندما وصلت أنباء هذا الخبر إلى أهل قُرَيْش، خرج نفر من سادات العرب رافقوا عبد المطلب في ذهابه إلى أَبْرَهَة، كان منهم: خُوَيْلِد بْن واثِلَةَ الهُذَلِيّ؛ وهو يومئذ سيد هُذَيْل، فعرضوا على أَبْرَهَة ثلث أَمْوَال أَهْلِ تِهَامَة على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبى عليهم (الجوزي، 1992).

صفوة القول: إن قبيلة هُذَيْل كانت في جملة القبائل العربية التي أرادت الدفاع عن بيت الله الحرام حينما عزم أَبْرَهَة على هدمه. وكان زعيمهم أحد أعضاء الوفد المرافق لعَبْدِ الْمُطَّلِب – سيد قريش – في مفاوضاته التي أجراها مع أَبْرَهَة ليثنيه عن عزمه في هدم بيت الله الحرام. وفي هذا دليل على عظم مكانة قبيلة هُذَيْل وارتفاعها في الجاهلية.

أما منازل هُذَيْل في شبه الجزيرة العربية؛ فتنقسم إلى قسمين: شمالي وجنوبي. فتقع ديار هُذَيْل الشمالي في أطراف مَكَّة، من جهة الشرق والجنوب،

وبخاصة في أطراف مَكَّة والطَّائِف بقرب جبل بَرْد وجبل ذكَا. وأما القسم الثاني: فيدعى هُذَيْل اليمن وكان يتألف من عدة أفخاذ.

نزلت جماعة من قبيلة هُذَيْل بالسّروات (الهمداني، 1884)، في المكان المعروف بـ"سراة هُذَيْل"؛ وهي تلال تفصل بين تِهَامَة ونَجد، متصلة من البَحْرَيْنِ إلى الشَّام (النويري، 1992). ومنهم مَن نزل عند "بئر الرَّجِيع"، وهو ماء لهم، كان يقع إلى الشرق منه ديار "ضَبَّة" وديار "عَبْد مَنَاةَ"، أما في جنوبه فتقع ديار "خَثْعَم" و"ثَقِيف"، وتمتد ديار "بَنِي سُلَيْم" إلى الشمال منه (البلاذري، 1996). كما نزل بعضهم في المنطقة المعروفة بـ "جبال هُذَيْل"، بالقرب من ديار "بَنِي سَعْدِ بن بَكْرٍ"، و" كِنَانَةَ"، و" هَوَازِنَ" (الأصفهاني، ب. ت).

وأما أكثرهم فقد واصل السير حتى نزل مدينة الطَّائِف، وهي ثالث مدينة مهمة في الْحِجَازِ، وكانت تسمى "وَجّ" نسبةً إلى أحد رؤسائها من العمالقة (القنوي، مخطوط). يقول ياقوت الحموي: "الطَّائِف ذات مزارع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه، وبها مياه جارية وأودية تنصب منها إلى تَبالَة، وجل أهل الطَّائِف من ثَقِيف وحِمْيَر وقوم من قُرَيْش، وهي على ظهر جبل غَزْوَانَ، وبغَزْوَانَ قبائل هُذَيْل" (ياقوت، 1991).

صفوة القول: إن قبيلة هُذَيْل كانت إحدى القبائل العربية الساكنة في الهضاب والجبال غير البعيدة عن مَكَّة، ونظراً لضخامة أعدادها وكثرة بطونها فقد تعددت أماكن منازلهم في شبه الجزيرة العربية.

ثالثاً – الأحوال الاقتصادية لقبيلة هُذَيْل قبل الإسلام:

أما عن الوضع الاقتصادي لقبيلة هُذَيْل في العصور السابقة لظهور الإسلام، فقد مارس أبناؤها العديد من الأنشطة الاقتصادية؛ منها: الزراعة وتربية الحيوانات والتجارة، وغيرها من الأنشطة الاقتصادية.

كانت نظم الزراعة متنوعة في شبه الجزيرة العربية؛ فقد كان لكل إقليم نظام ينفرد به عن باقي الأقاليم نظراً لظروفه الطبيعية، وإن كانت جميع الأقاليم تشكل في النهاية منظومة واحدة هي أراضي شبه الجزيرة العربية.

أما عن أهم الحاصلات الزراعية التي يتم إنتاجها، فمنها: الحبوب والخضراوات والفواكه. وكانت زراعة النخيل أهم تلك الأنواع؛ وذلك لأن التمر يعتبر غذاءً رئيساً لسكان تلك المناطق. ومن الجدير بالذكر، أنه قد واجهت المزارعين في قبيلة هُذَيْل بعض المشكلات؛ منها ما هو اقتصادي؛ بسبب ارتفاع تكاليف الإنفاق المالي، ومنها ما هو أمني؛ بسبب التعدي من قِبل الخصوم. أما المشكلة الكبرى فكانت عدم نزول الأمطار في بعض أيام العام؛ مما ينتج عنه جفاف الآبار.

أما عن الثروة الحيوانية فقد كان لها أهمية كبيرة في الاقتصاد الزراعي. وقد أشار القرآن الكريم في آيات كثيرة إلى المراعي الطبيعية التي تربى عليها الماشية والأغنام والماعز، وغيرها من الحيوانات التي كانوا يحصلون منها على الجلود والألبان ويستخدمون بعضها كوسيلة للتنقل. فقال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾ (النحل، 5 –7). ويأتي في مقدمة هذه الثروة الْإِبِل؛ فيستفاد منها في مجال الزراعة كاستخراج الماء من الآبار العميقة، كما كانت تستخدم من قِبل التاجر والمسافر والمحارب.

فإذا انتقلت إلى الحديث عن التجارة؛ فهي تحتل المصدر الثاني من مصادر الاقتصاد لدى قبيلة هُذَيْل؛ حيث كان يعمل معظم سكان هذه المناطق بالتجارة المحلية أو الخارجية.

أما عن التجارة المحلية فكانت بين سكان الحضر كل بلدة على حدة، وكانت المنتجات الزراعية والمصنوعات المحلية أهم المبيعات. فالبدوي يحتاج إلى شراء التمور والحبوب والملابس والأواني والأسلحة ثم يبيع الفائض عن حاجته من إبل وأغنام ودهن وأصواف... إلخ.

وكانت التجارة في شبه الجزيرة العربية تعتمد على إقامة الأسواق؛ حيث كانت تقيم كل طائفة من التجار في مكان معين من هذه الأسواق، ويمكثون إلى

ما بعد الظهر، ولا يعودون إلى منازلهم إلا في المساء. وكانت أسواق المدن الكبرى تقام أسبوعياً في أيام معينة.

وكان من أشهر هذه الأسواق، سوق ذِي الْمَجَازِ، وسُمي بذلك؛ لأن إجازة الحاج كانت منه، ولعل السوق أحياناً تمتد أو يتنقل الناس فيها: يقتربون ويبتعدون حتى تشغل هذه المسافة. وذُو الْمَجَاز من ديار هُذَيْل، هم أهلها وجيرانها الأدنون (الزبيدي، 1990).

وقد ورد ذكر هذا السوق على لسان شعراء هُذَيْل؛ لأنها من أسواقهم الكبرى، ومن المواسم أيضاً. قَالَ أَبُو ذُؤَيْب الهُذَلِيّ:

وراحَ بهَا من ذِي المَجازِ عَشِيَّةً يُبادِرُ أُولى السابِقاتِ إلى الحَبلِ

(سيدة، 2000)

أما عن العملات المعدنية التي كان يتعامل بها أهل هُذَيْل، فهي العملات نفسها التي كان يتعامل بها سكان شبه الجزيرة العربية؛ فقد ذكر بعض المؤرخين، أنه "كَانَتْ لِقُرَيْش أَوْزَانٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَدَخَلَ الإِسَلامُ فَأَقَرَّتْ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، كَانَتْ قُرَيْش تَزِنُ الْفِضَّةَ بوزن تُسَمِّيهِ دِرْهَماً، وَتَزِنُ الذَّهَبَ بِوَزْنٍ تُسَمِيهِ دِينَاراً، فَكُلُّ عَشَرَةٍ مِنْ أَوْزَانِ الدَّرَاهِمِ سْبَعَةُ أَوْزَانِ الدَّنَانِيرِ، وَكَانَ لَهُمْ وَزْنُ الشَّعِيرَةِ وَهُوَ وَاحِدٌ مِنَ السِّتِّينَ مِنْ وَزْنِ الدِّرْهَمِ، وَكَانَتْ لَهُمُ الأُوقِيَّةُ وَزْنَ أَرْبَعِينَ دِرْهَماً، وَالنَّشُّ وَزْنُ عِشْرِينَ دِرْهَماً، وَكَانَتْ لَهُمُ النَّوَاةُ وَهِيَ وَزْنُ خَمْسَةِ دَرَاهِمَ فَكَانُوا يَتَبَايَعُونَ بِالتِّبْرِ عَلَى هَذِهِ الأَوْزَانِ، فَلَمَّا قَدِمَ الرسول ﷺ مَكَّة أَقَرَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ" (البلاذري، 1992). وكانوا يحتفظون بالأوزان المقررة، حتى إذا حدث اختلاف على الوزن، رجعوا إلى الوزن المقرر المعتبر. وكان "أَبُو وَدَاعَةَ بنِ ضُبَيْرَة السَّهْمِيِّ" يمتلك وزن مثقال في الجاهلية، يوزن به". ومن الجدير بالذكر، أن الدَّرَاهِم كانت تعرف بـ"قِطَاع" بلُغَةِ هُذَيْل (الزبيدي، 1990).

ومما تجدر الإشارة إليه، أن الفضة كانت من المعادن المشهورة المعروفة في بعض مناطق شبه الجزيرة العربية. ومن أشهر هذه المناطق "عَوْسَجَة" في بلاد هُذَيْل، فقد كانت معدناً للفضة، كما يقول الزَّبَيْدِيّ (الزبيدي، 1990).

أما عن التجارة الخارجية فقد قامت بين سكان قبيلة هُذَيْل وبعض سكان المناطق الأخرى؛ نظراً لموقعها المتميز على طريق القوافل التجاري الرئيسي القديم الممتد في غرب شبه الجزيرة العربية بين مَعِين على أطراف منطقة الجوف الجنوبي وبين أطراف الهلال الخصيب في الشمال.

وقد اتسعت علاقات هُذَيْل بجيرانها في الشَّام عن طريق البر، وفي مصر عن طريق البر والبحر (صالح، ب – ت). يقول ياقوت: "وكان للطَّائِف عدا ذلك موقع تجاري ممتاز بوقوعها بالقرب من الأسواق التجارية الْحِجَازِية ولا سيما سوق عُكَاظ. وكانت صلاتها متينة بأهل مَكَّة الذين كان لهم فيها عقارات وأراضٍ زراعية، كما كان أثرياؤهم يوظفون أموالهم في تجارة أهلها" (ياقوت، 1991).

ومما تجدر الإشارة إليه، أن التجارة قد واجهت بعض المشكلات؛ أهمها: انعدام الأمن؛ فكثيراً ما تعرضت القوافل التجارية للسلب والنهب من قِبل قُطَاع الطرق المنتشرين في أنحاء شبه الجزيرة العربية.

رابعاً – الأحوال الاجتماعية لقبيلة هُذَيْل قبل الإسلام:

شكلت القبيلة في مجتمع شبه الجزيرة العربية بقسميها البدو والحضر أساساً في التنظيم الاجتماعي، وكانت الغالبية العظمى من قبيلة هُذَيْل عرباً خُلَّصاً؛ وذلك لأنها أقل مناطق شبه الجزيرة العربية اختلاطاً بغير العرب. أما العناصر غير العربية فقد أتت إليها بطرق مختلفة كالرق مثلاً.

وكان المجتمع الهُذَيْلِيّ كسائر المجتمعات القبلية ينقسم إلى حضر وبدو. فالحضر مستقرون في بعض البلدان والواحات التي تتوافر فيها مصادر المياه على جوانب الأودية المختلفة الصالحة للزراعة. أما البدو فكانوا رُحَّلاً يتتبعون الأمطار والعشب لرعي حيواناتهم.

في الجانب الآخر نجد تقسيماً يصنف هذا المجتمع القبلي إلى فئات لها طابع طبقي؛ إلى فلاحين وحرفيين وعاملين، وهو تصنيف مانع لا يتغير من الآباء إلى الأجداد ولا يمكن أن يغير فيه أحد الأفراد مهنته لينتقل من فئة إلى فئة؛ ومن ثم فهو يكرس الطبقية في صورة حادة ومستمرة في الوقت ذاته. وقد

زاد من حدة الوضع الطبقي أن طبقة أصحاب الحرف أو مَن كانوا يعملون بالأجر كان يُنظر إليهم على أنهم يمارسون عملاً متدنياً، على الرغم من حاجة المجتمع إليهم (عبد الوهاب، ب – ت).

ومما تجدر الإشارة إليه، أن الحياة الاجتماعية في قبيلة هُذَيْل لم تكن بالحياة الوردية التي يسْعَدُ بها الجميع؛ فقد واجهتهم كثير من الأخطار؛ منها – على سبيل المثال – انتشار الأوبئة كالطاعون والجدري والحصبة والسعال والحمى. يضاف إلى ذلك، الجوع الذي كان يضرب سكان هذه المناطق بسبب القحط وغلاء الأسعار. وأخيراً، الاضطرابات السياسية وكثرة الفتن والغزوات والنزاعات بين القبائل.

وعلى الرغم من انتشار بعض هذه المساوئ فإنه وجدت في المجتمع العربي بعض الخصال الحميدة، من أهمها نصرة المظلوم. فقد كان فيهم مَن ينكر الظلم وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر، ويسمون الذَادَة (الزبيدي، 1990) المحرمين. وهم من بَنِي عَمْرو بنِ تمَيم، وبَنِي حَنْظَلَة بنِ زَيْدِ مَنَاةَ، وقوم من هُذَيْل (اليعقوبي، 2002)؛ فكانوا يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس.

خامساً – الحياة الدينية لقبيلة هُذَيْل قبل الإسلام:

وأنقل الحديث الآن إلى الوضع الديني أو الحياة الدينية التي عرفتها قبيلة هُذَيْل في العصور السابقة للإسلام. والظاهرة التي نلاحظها هي انتشار عبادة أو تقديس أشياء مادية محددة، مثل: الأحجار والأشجار والكهوف وينابيع المياه؛ وهي أشياء يرى البدوي أنها تفيده في حياته اليومية. ثم انتقل البدوي إلى مرحلة دينية أكثر تطوراً حين بدأ يعتقد في قوى إلهية أكثر شمولاً وأكثر تجريداً، كما حدث عندما انتقلت إليها عبادات الأصنام؛ ومنها: سُوَاعٍ ومَنَاةَ وسَعْدِ (الكلبي، 2000).

لقد تعددت الروايات حول أول مَن أدخل الأصنام في جزيرة العرب، والذي يهمنا منها الرواية التي تقول: إن أول مَن اتخذ تلك الأصنام، من ولد إسماعيل –

عليه السلام – وغيرهم من الناس، وسموها بأسمائها على ما بقي فيهم من ذكرها حين فارقوا دين إسماعيل – عليه السلام –، "هُذَيْل بْنُ مُدْرَكَةَ" (هشام، 2012). فنسبت هذه الرواية اتخاذ الأصنام إلى قبيلة هُذَيْل (جواد، 2001).

ويعد "سُوَاع" من أقدم الأصنام التي عبدتها هُذَيْل، وقد ورد اسمها في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ (نوح، 23). وقد ذكر بعض العلماء، أنه صنم عُبِدَ في زمن نوح – عليه السلام – فدفنه الطوفان فأشار "إبليس" على الجاهليين بالتعبد له، فعبدته همدان، ثم صار لهُذَيْل (الزبيدي، 1990)، وقد كان في مكان يسمى رُهَاط من بلادهم، على بُعد ثلاثة أميال أو ثلاث ليال من مَكَّة (ياقوت، 1991)، ثم حج الناس إليه (الطبري، 1963)، وقد قال الشاعر:

تَـراهُـم حَـوْلَ قَـيـلِـهِـم عُـكـوفـاً كَـمَـا عـكَـفَـتْ هُـذَيْـل عـلـى سُـوَاعِ

يـظـل جـنـابـه بـرُهَـاط صـرعـى عـتـائـرُ مـن ذخـائـر كـلِّ راعِ

(الزبيدي، 1990)

وذكر بعض المؤرخين أن سُوَاعاً وبقية الأصنام التي ذكرت في سورة نوح – عليه السلام – "كَانُوا قَوْماً صَالِحِينَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ، وَكَانَ لَهُمْ أَتْبَاعٌ يَقْتَدُونَ بِهِمْ، فَلَمَّا مَاتُوا قَالَ أَصْحَابُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَقْتَدُونَ بِهِمْ: لَوْ صَوَّرْنَاهُمْ كَانَ أَشْوَقَ لَنَا إلى الْعِبَادَةِ إِذَا ذَكَرْنَاهُمْ. فَصَوَّرُوهُمْ، فَلَمَّا مَاتُوا وَجَاءَ آخَرُونَ دَبَّ إِلَيْهِمْ إِبْلِيسُ، فَقَالَ: إِنَّمَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَبِهِمْ يُسْقَوْنَ الْمَطَرَ فَعَبَدُوهُمْ" (كثير، 1997).

وقيل: إن سُوَاع كان صنماً على صورة امرأة. وينسب بعض المؤرخين انتشار عبادته إلى عَمْرو بْن لُحَيّ، فذكر أن مُضَرَ بْنَ نِزَارٍ أجابت عَمْرو بْن لُحَيّ، فدفع إلى رجل من هُذَيْل – يقال له: الحَارِث بن تَمِيم بن سَعْدِ بنِ هُذَيْل بنِ مُدْرِكَةَ بن إلْيَاس بنِ مُضَرَ – سُوَاعاً، فكان بأرض يقال لها رُهَاط من بطن نخلة، يعبده من يليه من مُضَر (الفاسي، 1986). وذكر بعض المؤرخين أنه كان بـ"نُعْمَان"، وأن سَدَنَته بنو هُذَيْل (الفيومي، 1994).

ظل هذا الصنم يعبد من دون الله تعالى، حتى فتح النبي – صلى الله عليه

وسلم – مَكَّة، فأرسل إليه من أصحابه مَن قام بهدمه في السنة الثامنة من الهجرة. وقد اختلف المؤرخون فيمَن قام بهدمه، فقيل: إن "غَاوِي بْن عَبْدِ الْعُزَّى" بينما هو عند الصنم، إذ أقبل ثعلبان يشتدان حتى تسنماه، فبالا عليه، فقال:

أَرَبٌّ يَبُولُ الثُّعْلُبَانُ بِرَأْسِهِ لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ

ثم قال: يا معشر سليم! لا والله هذا الصنم لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع! فكسره ولحق بالنبي – صلى الله عليه وسلم – عام الفتح. فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ما اسمك؟ فقال: غَاوِي بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى. فقال: بل أنت رَاشِدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ. وعقد له على قومه (السمهودي، 1998). وقيل: إن هذه الحادثة إنما وقعت لعَبَّاس بن مِرْداسٍ السُّلَمِيّ، وقيل: لأَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ (البر، 1992).

الصنم الثاني الذي كانت تعظمه قبيلة هُذَيْل، هو "مَنَاة"؛ وهو من الأصنام المذكورة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ (النجم، 19–20)، وهو أحد الأصنام المعروفة في مَكَّة، وقد شاعت عبادتها بين قبائل هُذَيْل وخُزَاعَة، وكان مكانها عند ساحل البحر بين المدينة ومَكَّة، فكانت تعظمها القبائل الساكنة في تلك الجهات، ولا سيما الأوس والخزرج، إذ كانتا تخصانها بالتعظيم، فإذا حجوا إلى مَكَّة، عادوا إلى مَنَاةَ، ليحلقوا شعرهم عندها. وربما اعتبرت مَنَاة إلهة القضاء والقدر عندهم.

وأما تحطيم هذا الصنم، فكان في السنة الثامنة للهجرة عندما سار الرسول – صلى الله عليه وسلم – لفتح مَكَّة، فأرسل عَليّ بْن أَبِي طَالِبٍ للقيام بهذه المهمة، فهدمها وأخذ ما كان لها، ومن ذلك سيفان روي أن الْحَارِث بْن أَبِي شِمْرٍ الْغَسَّانِيّ ملك الغساسنة كان قد أهداهما إليها، ويقال: إن ذَا الفَقَارِ سيف عَليٍّ أحدهما (الكلبي، 2000).

وأما سَعْد "ذُو الْكَفَّيْن"، فكان الصنم الثالث الذي تعظمه قبيلة هُذَيْل، وهو صخرة طويلة تقع على ساحل جُدَّةَ (هشام، 2010). وقد ذكر ابن قتيبة أن سَعْداً صنم على ساحل البحر بـ" تِهَامَة"، كانت تعبده هُذَيْل (كثير، 1997).

وقد بعث النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد فتح مَكَّة في السنة الثامنة للهجرة، الصحابي الطُّفَيْل بْن عَمْرٍو الدَّوْسِيّ (حجر، 1991) فحرقه، وهو يقول:

يَـا ذَا الْـكَـفَّـيْـنِ لَـسْـتُ مِـنْ عُـبَّـادِكَـا
مِـيـلَادُنَـا أَقْـدَمُ مِـنْ مِـيـلَادِكَـا
إِنِّـي حَـشَـوْتُ الـنَّـارَ فِـي فُـؤَادِكَـا

(سعد، 2002)

وفي الوقت نفسه الذي كانت فيه العرب تعبد الأصنام كانوا يعظمون الكعبة المركز الديني القديم، الذي وصفه القرآن الكريم بأنه أول بيت وضع للناس وهو الذي بمَكَّة مباركاً فيه آيات بينات، ويسند القرآن الكريم تجديد بنائه إلى إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام –، فيقول: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (البقرة: 125). ويقول: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (البقرة: 127). "فكانت العرب، إذا أرادت حج البيت الحرام، وقفت كل قبيلة عند صنمها وصلوا عنده، ثم لبوا حتى يقدموا مَكَّة. فكانت تلبياتهم مختلفة. وكانت تلبية قُرَيْش: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك، تملكه وما ملك. وكانت تلبية ثَقِيف: لبيك اللهم إن ثَقِيفاً قد أتوك وأخلفوا المال وقد رجوك. وكانت تلبية هُذَيْل: لبيك عن هُذَيْل قد أدلجوا بليل، في إبل وخيل (اليعقوبي، 2002).

صفوة القول: إن قبيلة هُذَيْل شأنها شأن باقي قبائل شبه الجزيرة العربية، اتخذت الأصنام معبوداً لها من دون الله تعالى، فعظَّمت سُوَاع ومَنَاةَ وسَعْداً، وإن لم تنقطع عن حج بيت الله الحرام فكانت لها تلبية خاصة تتقرب بها إلى الله، جل جلاله.

سادساً – الحياة الأدبية لقبيلة هُذَيْل قبل الإسلام:

قبيلة هُذَيْل من القبائل التي أثنى العلماء على لغتها؛ فهي من القبائل التي أَعْرَقَتْ فِي الشِّعْرِ (الزبيدي، 1990)، وقد استشهد العلماء بشعر شعرائها في

اللغة وفي القواعد النحوية، ومن هنا عدت في القبائل التي أخذ علماء العربية اللغة منها.

ولا بأس أن أسوق بعض الأمثلة على التراكيب اللغوية لقبيلة هُذَيْل؛ فهم لا يبقون ألف المقصور على حالها عند الإضافة إلى ياء المتكلم، بل يقلبونها ياء ثم يدغمونها، توصلاً إلى كسر ما قبل الياء، فيقولون في عصاي وهواي: عَصِيّ وهَويّ. ولا يفعلون ذلك إذا كانت الألف في آخر الاسم للتثنية، كما في نحو "فَتَيايَ"، بل يوافقون اللغات الأخرى (الخطيب، 1982). ويستعملون "متى" بمعنى "مِنْ" ويجرون بها، سمع من بعضهم قوله: أَخَرَجها متى كُمِّه، أي: من كُمه. ويعربون "الذين" اسم الموصول إعراب جمع المذكر السالم، فيقولون:

نحن الَّذون صبحوا الصّباحا يوم النخيل غارة ملحاحا

(عبود، 2012)

ومن لغة هُذَيْل – أيضاً – فتح الياء والواو في مثل بَيْضات، وهيآت، وعَورات، فيقولون: بَيَضات، وهَيآت، وعَوَرات، وبقية العرب على إسكانها (الرافعي، 1997). ويقومون بإبدال أواخر بعض الكلمات المجرورة ياء، كقولهم في الثعالب والأرانب والضفادع: الثعالي والأراني والضفادي. وقد يبدلون بعض الحروف ياء كقولهم في سادس: سادي، وفي خامس: خامي (الرافعي، 1997).

وبلغ من فصاحة لغة هُذَيْل، أن بعض العلماء قد ذكر أن القرآن الكريم، نزل بلغة مُضَرَ، لقول عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ – رضي الله عنه –: "نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلُغَةِ مُضَر". وَعَيَّنَ بَعْضُهُمْ فِيمَا حَكَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ السَّبْعَ مِنْ مُضَر أَنَّهُمْ: هُذَيْل وَكِنَانَةَ وَقَيْسٌ وَضَبَّة وَتَيْمُ الرِّبَابِ وَأَسَدُ بْنُ خُزَيْمَةَ وَقُرَيْش فَهَذِهِ قَبَائِلُ مُضَرَ، تَسْتَوْعِبُ سَبْعَ لُغَاتٍ" (السيوطي، 1974). لذا، فقد عد لسان هُذَيْل من الألسنة العربية الجيدة.

قال يونس بن حبيب: "ليس في هُذَيْل إلا شاعر أو رام أو شديد العدو" (الأصفهاني، 1999). وذكر الجاحظ أن "عَبْد القَيْس" بعد محاربة "إياد" تفرقوا فرقتين، ففرقة وقعت بعمان وشق عمان وفيهم خطباء العرب، وفرقة وقعت إلى

البَحْرَيْنِ وشق البَحْرَيْنِ، وهم من أشعر قبيلة في العرب. ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سُرة البادية وفي عدن الفصاحة (الجاحظ، 2003).

ولابن سلام رأي في هذا الموضوع؛ إذ يقول: "وبالطَّائِف شعر وَلَيْسَ بالكثير وَإِنَّمَا كَانَ يكثر الشّعْر بالحروب الَّتِي تكون بَين الْأَحْيَاء نَحْو حَرْب الْأَوْس والخزرج أَو قوم يغيرون ويغار عَلَيْهِم. والذى قلل شعر قُرَيْش أَنه لم يكن بَينهم نائرة وَلم يحاربوا. وَذَلِكَ الذى قلل شعر عمان وَأهل الطَّائِف في طرف وَمَعَ ذَلِك كَانَ فيهم" (سلّام، 1974).

وأما عن شعر هُذَيْل، فقد ذكر بعض علماء اللغة: أن أفصح الشعراء ألسناً وأعربهم أهل السروات؛ وهن ثلاث، وهي: الجبال المطلة على تِهَامَة مما يلي اليمن، فأولها هُذَيْل، وهي تلي السهل من تِهَامَة، ثم بجيلة السراة الوسطى، وقد شركتهم ثَقِيف في ناحية منها، ثم سراة الأزد. أزد شنوءة؛ وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نضر بن الأزد. وقيل: إن قبيلة "هُذَيْل" هي في طليعة القبائل عدداً في الشعراء؛ فقد روى العلماء لأربعين شاعراً منهم في الجاهلية والإسلام، وهو عدد قياسي بالنسبة إلى عدد الشعراء الذين أنجبتهم القبائل الأخرى (السيوطي، 1998). وكان الإمام "الشافعي" – رضي الله عنه – يحفظ عشرة آلاف بيت من شعر هُذَيْل بإعرابها وغريبها ومعانيها (البيهقي، 1970). وقد عدت "هُذَيْل" أشعر القبائل في رأي بعض العلماء (الثعالبي، 1997).

وقد أجمع المؤرخون على أن أشعر الناس حيّاً هُذَيْل (الصفدي، 2000، ياقوت، 2001). وروي عن عبد الملك بن مروان (65 – 86هـ/ 684 – 705م) أنه كان يقول: "إذا أردتم الشعر الجيد، فعليكم بالزرق من بني قيس بن ثعلبة، وبأصحاب النخيل من يثرب، وأصحاب الشَّعَف من هُذَيْل" (عبد ربه، 2004). روي عن عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ – رضي الله عنه – أنه سأل الصحابة – رضي الله عنهم – عن هذه الآية: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل: 47)، فخاضوا في معناها، فخرج رجل ممن كان حاضراً فلقي أعرابيّاً،

فقال التخوف: التنقص، وكان ذلك الأعرابي من هُذَيْل، فقال له: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم. قال شاعرنا أَبُو كَبِيرٍ الهُذَلِيّ:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكاً قَرِداً كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

(الفارابي، 1987)

فقال عمر: أيها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم (الزمخشري، 1986).

وجُمعت دواوين القبائل، أو أشعار القبائل، وقد ضمت شعر جميع شعراء قبيلة أو شعر بعض من شعرائها، ممن اشتهر وعرف، وتحتوي بالإضافة إلى الشعر كلاماً يتصل بالشعر وبالشاعر وبالمناسبة التي قيل الشعر فيها، وبنسب الشاعر وقبيلته، على نحو ما نجده في الدواوين الخاصة، فتكون بذلك وثائق مهمة جامعة لأمور شتى من حياة الجاهليين. وقد سميت هذه المجموعات بأشعار القبائل، مثل: أشعار الأزد، وأشعار حِمْيَر، وشعر هُذَيْل (الفارابي، 1987).

وقد ضاع أكثر ما جمع من أشعار القبائل، ولم يصل إلينا مطبوعاً من هذه المجموعات إلا ديوان هُذَيْل، وأكثر شعراء هذا الديوان إسلاميون. وقد نال شعراء هُذَيْل بذلك حظّاً من العناية، كما نشرت لشعراء هذه القبيلة جملة دواوين.

ولهُذَيْل شعر جيد وشعراء مجيدون. وتعد من القبائل المخصبة في الشعر، ولا غرابة فقد اشتهرت بكثرة شعرائها؛ ويأتي في مقدمتهم: " أَبُو كَبِيرٍ الهُذَلِيّ "، وهو: "عامر بن الحليس"، وهو جاهلي. قال "ابن قتيبة": وله أربع قصائد، أولها كلها شيء واحد، ولا نعرف أحداً من الشعراء فعل ذلك (السيوطي، 1998)، إحداهن:

أُزهَيرُ هل عن شيْبةٍ من مَعْدِلِ أم لا سبيلَ إلى الشَّباب الأوّل

(الديوان، 1965)

والثانية:

أُزهَيرُ هل عن شَيبْةٍ من مَقْصَرِ أم لا سبيلَ إلى الشّباب المُدْبِرِ

والثالثة:

أَزُهَيرُ هل عن شَيبةٍ من مَصْرِفِ أم لا خُلودَ لباذِلٍ متكلِّف

والرابعة:

أَزُهَيرُ هل عن شَيْبةٍ مِن مَعْكِمِ أم لا خُلودَ لباذلٍ من متكرِّم

وتنسب له قصيدة جاء فيها:

ولقد سَرَيتُ على الظَّلام بمغْشَمٍ جَلْدٍ من الفِتْيان غيرِ مُهَبَّلِ

ممّا حَمَلْن به وهنّ عَواقِدٌ حُبُكَ الثّيابِ فشَبَّ غيرَ مثقَّلِ

ومن شعرائها أيضاً: "المُتَنَخِّل" واسمه "مَالِك بن عَمْرِو بن عُثْم" وقيل: "مَالِك بن عُوَيْمِر" اشتهر بقصيدته التي يقول فيها:

يا ليت شِعرى وهَمُّ المرءِ يُنصِبه والمرء ليس له في العيش تحريز

هل أجزِينّكما يوماً بقَرضِكما والقَرْض بالقرض مَجزِيٌّ ومَجْلوزُ

(ديوان، 1965)

قال الأصمعي: "ما قيلت قصيدة على الزاي أجود من قصيدة الشمّاخ في صفة القوس، ولو طالت قصيدة المُتَنَخِّل كانت أجود" (قتيبة، 2003)، وهو من الشعراء الجاهليين.

ومن شعراء هُذَيْل "خُوَيْلِد بن مَطْحَلِ الهُذَليّ"، وكان سيد هُذَيْل في زمانه، وابنه من بعده، "مَعْقِلُ بْنُ خُوَيْلِد". وكان شاعراً معدوداً في شعراء هُذَيْل، ووفد إلى أرض الحبشة، فكلم ملكهم في مَن عنده من أسرى العرب، فأطلقهم له، وهو القائل:

لعمرك لليأس غير المريث خير من الطمع الكاذب

وللريث تحفزه بالنجا ح خير من الأمل الخائب

يرى الحاضر الشاهد المطمئن من الأمر ما لا يرى الغائب

وورد في كتاب "الإصابة" اسم "مَعْقِل بْن خُوَيْلِد الهُذَلِيّ"، وكان شاعراً، وكان أبوه رفيق "عبد المطلب" إلى أبرهة، وكان بين أبي سفيان وبين مَعْقِل بْن خُوَيْلِد، خلاف في سلب رجل من قُرَيْش. فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "يا مَعْقِلُ بْنُ خُوَيْلِد اتقِ معارضة قُرَيْش". وذكره "المرزباني" في الشعراء المخضرمين.

ومن أشهر شعراء هُذَيْل المخضرمين "أَبُو ذُؤَيْب الهُذَلِيّ" واسمه "خُوَيْلِدُ بْنُ خَالِد بْنُ مُحَرَّثٍ"، شاعر مخضرم، مجيد. وهو من أعظم شعراء هُذَيْل على الإطلاق. رحل إلى المدينة، فوصلها والرسول – صلى الله عليه وسلم – مسجى، فكان ممن صلى عليه وشهد دفنه. قَالَ أَبُو عَمْرو بن الْعَلَاء: سُئِلَ حسان من أشعر النَّاس؟ قَالَ حَياً أَو رجلاً. قَالَ حَيّاً؟ قَالَ أشعر النَّاس حَياً هُذَيْل وأشعر هُذَيْل غير مدافع أَبُو ذُؤَيْب. قَالَ ابْن سَلام: هَذَا لَيْسَ من قَول أَبي عَمْرو وَنحن نقُوله (سلام، 1974).

قال المؤرخون عنه: "كان فصيحاً كثير الغريب متمكناً من الشعر، وعاش في الجاهلية دهراً وأدرك الإسلام، وأسلم. وعامة ما قاله من الشعر في إسلامه" (الأثير، ب ـ ت، البر، 1992). مات في خلافة عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ – رضي الله عنه – وقيل: في خلافة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –، وكان راوية لسَاعِدَةَ بْن جُؤَيَّةَ الهُذَلِيّ.

وقد تقدم أَبُو ذُؤَيْب على جميع شعراء هُذَيْل بقصيدته العينية التي قالها في رثاء بنيه الخمسة أو الثمانية الذين قتلوا أو هلكوا بالطاعون في عام واحد، وهي من أجود شعره. وهي قصيدة تفيض بالأسى والحنان على بنيه الذين ترك فراقهم أسى وحسرة في قلبه، وأولها:

أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِهِ تتوَجَّعُ وَالدَّهْرُ ليسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

وَتَجَلّدِي لِلشامِتِينَ أُرِيهِمُ أَني لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أتضَعْضعُ

ومن أبياتها الجيدة:

وإِذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا ألفَيْتَ كل تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم وإذا المنية أقبلت لا تدفع

ولأَبِي ذُؤَيْب شعر في رثاء الرسول – صلى الله عليه وسلم – منها قوله:

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الدِّينِ نَافَقُوا أَتَيْتُ الَّتِي كَانَتْ أَعَفَّ وَأَكْرَمَا

وَبَايَعْتُ بِالْيُمْنَى يَدِي لِمُحَمَّدٍ فَلَمْ أَكْتَسِبْ إِثْماً وَلَمْ أَغْشَ مَحْرَماً

تَرَكْتُ خَضِيباً فِي الْعَرِيشِ وَصِرْمَةً صفايا كِرَاماً بُسْرُهَا قَدْ تَحَمَّمَا

وَكُنْتُ إِذَا شَكَّ الْمُنَافِقُ أَسْمَحَتْ إلى الدِّينِ نَفْسِي شَطْرَهُ حَيْثُ يَمَّمَا

(الديوان، 1965).

وبيت القصيدة، وكان الأصمعي، يقول: هو أبرع بيتٍ قالته العرب:

وَالنَّفْسُ راغِبَةٌ إِذا رَغَّبْتَها وَإِذَا تُرَدُّ إلى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

وكما اختلف المؤرخون في المكان الذي توفي فيه هذا الشاعر، اختلفوا أيضاً في سنة وفاته. وقد طبع ديوانه بالقاهرة.

صفوة القول: إن أبَا ذُؤَيْب، كان "شاعراً فحلاً، لا غميزة فيه ولا وهن"، كما يقول ابن سلام (سلام، 1974).

وكان لأَبِي ذُؤَيْب ابن يقال له: "مَازِن بْن خُوَيْلِد"، ويكنى أبَا شِهَابٍ، وهو أحد شعراء هُذَيْل.

وأما "أَبُو خِرَاشٍ الْهُذَلِيُّ"، "خُوَيْلِدُ بْنُ مُرَّةَ"، فكان أحد شعراء هُذَيْل؛ وهو شاعر مشهور، أدرك الإسلام شيخاً كبيراً ووفد على الخليفة عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ – رضي الله عنه –، وكان أحد الفصحاء. ومن شعره في رثاء إخوَتِه:

لَعَمْرِي لقد راعت أُمَيْمةَ طَلْعتي وإنّ ثَوائي عندها لَقليلُ

تقول أَراه بعد عُرْوةَ لاهِياً وذلك رُزْءٌ لو عَلمتِ جليلُ

ولا تحسَبي أنِّي تناسَيتُ عهدَه ولكنّ صبري يا أُمَيْمَ جميلُ

ألم تعلمي أن قد تَفرَّقَ قبلَنا خليلَا صَفاءٍ مالكٌ وعَقيلُ

ومن طريف ما يذكر عن أَبُي خِرَاش الْهُذَلِيّ، أنه دخل مَكَّة وللْوَلِيد بْن الْمُغِيرَةِ فرسان يريد أَن يرسلهما فِي الحلبة، فَقَالَ للوَلِيد: ما تجعل لي إن سبقتهما؟ قَالَ: إِن فعلت ذَلِكَ فهما لَكَ. فأرسلا وعدا بينهما فسبقهما وأخذهما. ويقال: إن ضيوفاً من اليمن نزلوا عليه، فذهب يستقي لهم الماء فنهشته حية، فأقبل مسرعاً حتى أعطاهم الماء، ولم يعلمهم ما أصابه. فباتوا يأكلون، فلما أصبحوا وجدوه في الموت، فأقاموا حتى دفنوه. فبلغ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ – رضي الله عنه – خبره. فكتب إلى عامله أن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبي خراش فيغرمهم ديته. توفي في عام (15 هـ/636م) في خلافة عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رضي الله عنه. (الذهبي، 1993).

ولأبي خِرَاش أخ يقال له: "عُرْوَةُ بْنُ مُرَّةَ"، من شعراء هُذَيْل المعدودين، وأخ آخر اسمه "أَبُو جُنْدُب بْنُ مُرَّةَ"، أحد شعراء هُذَيْل المعدودين أيضاً.

أما آخر شعراء هُذَيْل؛ فهو: "صَخْرُ بْن عَبْدِ اللهِ الْهُذَلِيُّ"، المشهور بـ"صَخْرُ الْغَيِّ" من شعراء الخلاعة، وقد عُرف بشدة بأسه وكثرة شره، وله صاحبة اسمها "دَهْمَاءَ". وقد ذكرها في قصيدته:

إِنِّي بدَهْماءَ عَزَّ ما أَجِدُ عاوَدَني من حِبابِها زُؤُدُ

عاوَدَني حبُّها وقد شَحَطتْ صَرْفُ نَواها فإِنّني كَمِدُ

وهو على رأي ابن حجر من الشعراء المخضرمين (حجر، 1991).

خلاصة القول: إن قبيلة هُذَيْل قد اشتهرت بكثرة شعرائها وصفاء لغتها؛ ولذلك احتج اللغويون بكلامهم؛ وكانت أولى القبائل العربية التي يقتدى بها في البلاغة والبيان. ولا غرابة، فهُذَيْل تمتّ إلى قُرَيْش بالنسب والمصاهرة والجوار، وكانت تحاكي قُرَيْشاً في انتقاء الأفصح من الألفاظ، مما يسهل على اللسان في النطق، ويحسن عند المتذوق والسامع المتفهم. أما عن شعر هُذَيْل فمثله كمثل سائر

الشعر الجاهلي الآخر، مصقول مهذب، هذّب على وفْق قواعد اللغة العربية. ولهذا قلما نجد في شعر هؤلاء الشعراء الهذليين ما يختلف عن قواعد اللهجة العربية.

سابعاً – قبيلة هُذَيْل في صدر الإسلام:

بعد هجرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – من مَكَّة إلى المدينة، أخذ يضع أسس بناء الدولة الإسلامية الجديدة، التي قامت على صلة الأمّة بالله، وصلة الأمّة بعضها ببعضها الآخر. وصلة الأمّة بالأجانب عنها، ممن لا يدينون دينها. ثم كانت الغزوات التي قادها الرسول – صلى الله عليه وسلم – بنفسه، والسرايا التي قادها أحد أصحابه للدفاع عن الدين الإسلامي. وكانت قبيلة هُذَيْل إحدى القبائل العربية التي عارضت الدين الإسلامي ورفعت سلاح المقاومة في وجه المسلمين، والقائد العظيم، عليه صلوات رب العالمين.

أ – غَزْوَةِ الرَّجِيع:

في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة (625م) قدم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قوم مِنْ عَضَلٍ والْقَارَةِ، وذكروا أن فيهم إسلاماً. وسألوا أن يبعث معهم مَن يعلمهم الدين، ويقرئهم القرآن الكريم، فبعث معهم ستة نفر، وأمَّر عليهم مَرْثَد بْن أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيّ فذهبوا معهم، فلما كانوا بالرَّجِيع – وهو ماء لهُذَيْل بناحية الْحِجَازِ بين رَابِغٍ وجُدَّةَ – استصرخوا عليهم حياً من هُذَيْل يقال لهم بنو لحيان، فتبعوهم بقرب من مائة رام، واقتصوا آثارهم حتى لحقوهم، فأحاطوا بهم، وقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلاً، فنزلوا إليهم، ولكنهم غدروا بهم وربطوهم بأوتار قسيهم، وانطلقوا بهم فباعوهم بمَكَّة.

وقد هجا "حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ" قبيلة هُذَيْل هجاء مراً، وصفهم فيه باللؤم، واللؤم عند العرب من أقبح المعيبات، إذ قال فيهم:

فَـلَا وَاَلـلَّـهِ، مَـا تَـدْرِي هُـذَيْـل أَصَـافٍ مَـاءُ زَمْـزَمَ أَمْ مَـشُـوبُ
وَلَا لَـهُـم إذَا اغْـتَـمَـرُوا وَحَـجُّـوا مِنْ الْحِجْرَيْنِ وَالْمَسْعَى نَصِيبُ
وَلَـكِـنَّ الـرَّجِـيـع لَـهُـمْ مَـحَـلٌّ بِـهِ الـلُّـؤْمُ الْـمُـبَـيَّـنُ وَالْـعُـيُـوبُ
كَـأَنَّـهُـم لَـدَى الـكَـنَّـات أُصْـلاً تُـيُـوسٌ بِـالْـحِـجَـازِ لَـهَـا نَـبِـيـبُ

ب – غَزْوَةُ بَنِي لِحْيَانَ:

بَنُو لِحْيَانَ قوم هُذَيْل؛ وهم الذين غدروا بعشرة من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالرَّجِيع، وتسببوا في قتلهم. وقد خرج إليهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – للأخذ بثأر أصحابه المقتولين. وكان خروجه إليهم في ربيع الأول من السنة السادسة للهجرة (628م) في مائتين من أصحابه، واستخلف على المدينة عَبْدَ اللهِ بنَ أُمِّ مَكْتُوْمٍ. ثم أسرع السير فسمعت به بَنُو لِحْيَانَ، فهربوا في رؤوس الجبال، فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يومين بأرضهم، وبعث السرايا، فلم يقدروا عليهم. ثم هجم الرسول – صلى الله عليه وسلم – على طائفة منهم على ماء لهم يقال له "الْكَدِرْ"، فهزموا وغنم المسلمون أموالهم (هشام، 2012).

ج – مقاومة بعض الهُذَليّين في فَتْحِ مَكَّة:

كانت فتح مَكَّة في رمضان للسنة الثامنة من الهجرة (630م)، وسببها أن صلح الحديبية أباح لكل قبيلة عربية أن تدخل في عقد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن شاءت، أو تدخل في عقد قُرَيْش. فارتضت بَنُو بَكْرٍ أن تدخل في عقد قُرَيْش، وارتضت خُزَاعَة أن تدخل في عقد رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وفي تلك السنة (الثامنة) اعتدت بَنُو بَكْر على خُزَاعَة، فقتلت منها نحو عشرين رجلاً. وعندما وصلت هذه الأنباء إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – سار بالجيش الإسلامي حتى وصل (ذَا طَوَى). وفي هذا المكان رأى الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يفرّق الجيش فرقاً، وأوصاهم أن يكفوا أيديهم، ولا يقاتلوا إلا مَن قاتلهم، وأمر خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ أن يدخل من أسفلها من كُدَى، وأمر الزُّبَيْر بْن الْعَوَّام أن يدخل في فرقته من شمالها، وقَيْس بْن سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ الْأَنْصَارِيّ من جانبها الغربي (الطبري، 1963).

ودخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مَكَّة من أعلاها من كُدَاء بين يديه أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ في فرقة من الجيش. ودخلت الجيوش مَكَّة ولم يلق منها مقاومة تذكر إلا جيش خَالِد بْن الْوَلِيدِ؛ فقد كان يقيم في أسفل مَكَّة أشد

قُرَيْش عداوة للرسول – صلى الله عليه وسلم –، ومن اشتركوا مع بَنِي بَكْرٍ في نقض عهد الحديبية، هؤلاء لم يرضهم أن يستسلموا من غير إراقة دماء، ولم يعتدّوا بما منحوا من أمان فأعدوا عدتهم للقتال، "فَصَاحَ خَالِدٌ فِي أَصْحَابِهِ وَقَاتَلَهُمْ فَقَتَلَ أربعة وعشرين رجلاً مِن قُرَيْش وأربعة نفر مِن هُذَيْل وانهزموا أقبح الانهزام"، كما يقول ابن سَعْدٍ (سعد، 2002).

على كل حال، بعد فتح مَكَّة أعز الله الإسلام، وجاءت وفود العرب تعلن إسلامها بين يدي الرسول – صلى الله عليه وسلم –، ولكن مما يؤسف له أنني لم أعثر – على قدر علمي – من بين تلك الوفود، على وفد قبيلة هُذَيْل، ويبدو أن إسلامهم كان فرادى ولم يكن جماعات. ويمكن أن نستثني من هُذَيْل بيتاً كان له السبق إلى الإسلام هو بيت المسعوديين أبناء مسعود بن غافل، فلم يكن منهم إيذاء للدعوة، ولا معارضة لها، بل كان لهم سبق إلى الإسلام، وكانوا ثلاثة من الأخوة: عبد الله، وعتبة، وعميس.

وكان أسبقهم إلى الإسلام عبد الله، وكان سبب إسلامه أنه كان يرعى غنم عُقْبَة بْن أَبِي مُعَيْطٍ، فحلب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من غنمه شاة حائلاً فدرّت. وكان له صدق في دعوة الإسلام، وقد أسلم قبل دخول الرسول – صلى الله عليه وسلم – دار الأرقم، ويقول عن نفسه: "لقد رأيتني سادس ستة ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا". وأمهم (أم عبد) كانت ممن بايع الرسول – صلى الله عليه وسلم – (خلدون، 1988).

ويبدو أن كثيراً من الهُذَليين حين بدؤوا يدخلون في الإسلام منذ عصر الرسول – صلى الله عليه وسلم – ظلوا في البادية دون أن يكون لهم – على الأرجح – فضل الصحبة أو الهجرة، ولكنهم عُدّوا من المخضرمين.

د – عصر الخلفاء الراشدين:

وبعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – بدأت مرحلة جديدة في حياة الأمة الإسلامية اصطلح المؤرخون على تسميها بالخلافة الراشدة؛ فقد تولى الخليفة أَبِو بَكْرٍ الصَّدِيق – رضي الله عنه – (11 – 13هـ/ 632 – 634م) حكم

المسلمين، ثم كانت حروب الردة، ولم أعثر – على قدر علمي – على مشاركة حقيقية من قبيلة هُذَيْل في هذه الحروب، إلا مشاركة الصحابي الجليل عَبْدِ اللهِ ابنِ مَسْعُود، رضي الله عنه. فقد نص "ابن حجر" على قتل "ابن مَسْعُود" لابْن النَّوَّاحَةِ، إلا أنه لم يذكر أن ذلك كان بسبب اعتقاده بنبوة "مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّاب"، وإنما ذكر أنه "كان قد أسلم ثم ارتد فاستتابه عَبْد اللهِ بنِ مَسْعُود، فلم يتب فقتله على كفره وردّته". واسم "ابْنُ النَّوَّاحَةِ" "عُبَادَةُ بْنُ الْحَارِثِ" أحد بَنِي عَامِرِ بْنِ حَنِيفَةَ (حجر، 1412).

ثم كانت خلافة عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ – رضي الله عنه – (13 – 23هـ/ 634 – 644م)، فانساح المسلمون في بلاد الشَّام، ففتحوها، ثم أسسوا مَدِينَتي الْبَصْرَة وَالْكُوفَة، لتكونا مقراً للمسلمين ينطلقون منه لفتح باقي الدول المجاورة. وسرعان ما قامت حركة علمية في هذين المِصْرين، فكان على رأس الصحابة الذين نزلوا الْكُوفَة الصحابي الجليل عَبْد اللهِ بنِ مَسْعُود – رضي الله عنه –، الذي كان منزله في خطة هُذَيْل في موضع يسمى الرمادة، وترك داره دار الضيافة، وَكَانَ الأضياف ينزلون داره في هُذَيْل إذا ضاق عَلَيْهِم مَا حول المسجد. وكَانَ ينادي مناديه فِي السوق والكُنَّاسة، من كان هاهنا من بني فلان وفلان – لمن ليست لَهُ بِهَا خطة – فمنزله عَلَى ابن مَسْعُود. كذلك كان للهذليين بالْبَصْرَة خطة لسكناهم وإقامتهم، وفيها درب كان يعرف بدَرْبِ الحَبَش، وكان يلي هذا الدَرْب مسجد أَبِي بَكْرٍ الْهُذَلِيِّ. إذن، كان الهذليون أقل انبعاثاً، وأضعف نشاطاً وآثاراً في الْبَصْرَةَ منهم في الْكُوفَةَ.

وبعد فتح الشَّام انطلق الجيش الإسلامي بقيادة عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ – رضي الله عنه – إلى فتح مِصْرَ، وذلك في عام (21هـ/ 641م) فكانت قبيلة هُذَيْل إحدى القبائل العربية التي شاركت في عملية الفتح. وكانت لهم خطة بالْفُسْطَاطِ، في المنطقة المعروفة بالحمراوات الثلاث. وكانت هُذَيْل تترك خطتها هذه مرة – على الأقل – كل عام، وتتجه نحو الشمال ذاهبة إلى بُوصِيَر – مركز سَمَنُّود، محافظة الغربية – حيث كانت ترعى دوابها في الريف المصري في فصل الربيع. في حين

اتجهت طائفة منها إلى الجنوب حيث أقامت في مدينة طُوخ الخيل، قرية بالصعيد في غرب النيل بمحافظة المنيا حالياً. وعلى شواهد القبور ما يشير إلى ذلك. فهناك شاهدان يرجعان إلى أواسط القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، لاثنين من هُذَيْل أحدهما بالفسطاط والثاني بالصعيد (خورشيد، 1992).

وأيّاً ما كان الأمر، فإن هؤلاء الهذليين – فاتحين أو مهاجرين – لم يكن عددهم في مصر وفي غيرها بالعدد القليل، حتى إن بعض المؤرخين قد قرر في مبالغة وإسراف أنهم قد تفرقوا في الإسلام على الممالك، ولم يبق لهم في الجزيرة العربية حي يطرق.

ومن الجدير بالذكر، أن حركة الفتوحات الإسلامية قد استمرت بعد فتح مصر متجهة غرباً لفتح إفريقية، وكانت قبيلة هُذَيْل إحدى القبائل العربية التي شاركت في عملية الفتح الإسلامي، ثم نزلوا بإفريقية واستوطنوها، ويذكر ابن خلدون، أنه كان منهم – في أيامه – "قبيلة بنواحي بَاجَة يعسكرون مع جند السلطان ويؤدّون المغرم" (خلدون، 1988).

فلعل بعض هؤلاء الفاتحين قد بقي منهم مَن بقي، ونزح إليهم مَن نزح، ولهذا نجد بعض أبناء الهذليين وأحفادهم في مختلف نواحي المغرب.

ختاماً: إن قبيلة هُذَيْل لم تكن من أوائل القبائل العربية التي دخلت في الإسلام، بل على العكس عارضته معارضة شديدة، ثم سرعان ما حسُن إسلام رجالاتها فخرجوا مجاهدين في سبيل الله تعالى، رافعين راية الجهاد في كل موطن نزلوا فيه. وإن ظلت العلامة البارزة لهم هي تفوقهم العلمي والأدبي، الذي سبقت الإشارة إليه.

الخاتمة وأهم نتائج البحث:

في نهاية هذه الدراسة أجمل أهم ما توصلتُ إليه من نتائج، وهي:

أولاً: أن قبيلة هُذَيْل كانت إحدى القبائل العربية التي أرادت الدفاع عن بيت الله الحرام حينما عزم أَبْرَهَة على هدمه. وفي هذا دليل على عِظم قبيلة هُذَيْل في الجاهلية وارتفاع مكانتها.

ثانياً: أن قبيلة هُذَيْل كانت إحدى القبائل العربية الساكنة في الهضاب والجبال غير البعيدة عن مَكَّة، ونظراً لضخامة أعدادها وكثرة بطونها فقد تعددت أماكن منازلهم في شبه الجزيرة العربية.

ثالثاً: أن قبيلة هُذَيْل كانت إحدى القبائل العربية التي تمتلك كثيراً من الصفات الحميدة في الجاهلية، ومنها نصرة المظلوم. فقد كان فيهم مَن ينكر الظلم وينصب نفسه لنصرة المظلوم ومنع سفك الدماء وارتكاب المنكر، لدرجة أنهم كانوا يلبسون السلاح للدفاع عن المظلومين أمَام الظالمين.

رابعاً: أن قبيلة هُذَيْل – شأنها شأن باقي قبائل شبه الجزيرة العربية –، اتخذت من الأصنام معبوداً لها من دون الله تعالى، فعظَّمت سُوَاع ومَنَاةَ وسَعْداً، وإن لم تنقطع عن حج بيت الله الحرام؛ فكانت لها تلبية خاصة تتقرب بها إلى الله – جل جلاله – في موسم الحج من كل عام.

خامساً: أثبتت الدراسة مدى التقدم والرخاء الاقتصادي الذي تمتعت به قبيلة هُذَيْل في العصور السابقة لظهور الإسلام، فقد مارس أبناؤها العديد من الأنشطة الاقتصادية؛ ومنها: الزراعة وتربية الحيوانات والتجارة. كما عرفوا إقامة الأسواق واستخدموا العملات المعدنية في البيع والشراء.

سادساً: أن قبيلة هُذَيْل قد اشتهرت بكثرة شعرائها وصفاء لغتها؛ ولذلك احتج اللغويون بكلامهم؛ وكانت أولى القبائل العربية التي يقتدى بها في البلاغة والبيان. وأما شعرهم فقد جاء مصقولاً مهذباً، هُذِّب وفْق قواعد اللغة العربية. ولهذا قلما نجد في شعر هؤلاء الشعراء الهذليين ما يختلف عن قواعد اللهجة العربية.

سابعاً: أن قبيلة هُذَيْل كانت إحدى القبائل العربية التي خرجت من شبه الجزيرة العربية مشاركة في حركة الفتوحات الإسلامية في المشرق والمغرب. فنزل بعضهم بلاد الشام واتخذ من البصرة والكوفة مقراً له، والبعض الآخر واصل سيره مشاركاً في فتح مصر وإفريقية. وبمرور الوقت طابت لهم الحياة في هذه البلاد، فأقاموا فيها وتزوجوا منها وأنجبوا جيلاً جديداً يُنسب إلى تلك البلاد.

المصادر والمراجع

الأزرقي، محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي. (2003). *أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار*. دار الأندلس.

الأسد، ناصر الدين. (1988). *مصادر الشعر الجاهلي*. دار المعارف.

الأصفهاني، الحسن بن عبد الله الأصفهاني. (ب – ت). *بلاد العرب*. دار اليمامة.

الأفغاني، سعيد. (1973). *أسواق العرب في الجاهلية والإسلام*. دار الفكر.

الآمدي، الحسن بن بشر. (1991). *المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم*. دار الجيل.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد. (1992). *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك*. دار الكتب العلمية.

ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية. (ب – ت). *المحبر*. دار الآفاق الجديدة.

الخطيب، عبد الجواد. (1982). *هذيل في جاهليتها وإسلامها*. الدار العربية للكتاب.

خليف، يوسف. (1974). *الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي*. دار المعارف.

ابن رشيق، الحسن بن رشيق القيرواني. (1981). *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*. دار الجيل.

ابن سلّام، محمد بن سلّام بن عبيد الله. (1974). *طبقات فحول الشعراء*. دار المدني.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1998). *المزهر في علوم اللغة وأنواعه*. دار الكتب العلمية.

الطبري، محمد بن جرير. (2003). *تاريخ الرسل والملوك*. دار الكتب العلمية.

جواد علي. (2001). *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*. دار الساقي.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري. (2002). *الشعر والشعراء*. دار الحديث.

القنوي، محمد بن عبد الكريم. *رسالة في فضائل سيدنا عبد الله بن عباس وفضائل الطائف*، مخطوط في دار المخطوطات المصرية، مجاميع تيمور، تحت رقم [290]. ميكروفيلم رقم[15519].

ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب. (1983). *جمهرة النسب*. دار اليقظة العربية.

المرزباني، محمد بن عمران بن موسى. (2003). *معجم الشعراء*. الهيئة العامة لقصور الثقافة.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري. (1347). *التيجَان في مُلوك حِمْيَر*. مركز الدراسات والأبحاث اليمنية.

The History of Huthel Tribe between Pre-Islamic Times and the Rise of Islam

Dr. Mahmoud M. El Sayed Khalaf

Abstract

Goal of the Study: This research provides a historical study on the Arab tribe, Huthel, its origin and whereabouts in the Arabian Peninsula and on its political, economic, social, religious, cultural and intellectual conditions during the pre-Islamic times. The study pointed out this tribe status in the forefront of Islam and the participation of some of its men in the movement of the Islamic conquests. Then the study talked about their (tribe men) dispersion in the Islamic lands. Some of them took from the Levant, Egypt or the countries of the Arab Maghreb (North Africa) a permanent home. Thus, they were able to spread Islam in the parts o those countries where they settled and taught their children Arabic language. This is not unusual as Huthel tribe is considered the most poetical tribe in the opinion of soem scholars..

Study Methodology: The descriptive approach was applied in this research.

Study Data and sample: The history of the Huthel tribe was studied in the period between the pre-Islamic times and the rise of Islam.

Study Result: Huthel tribe was famous for its many poets and its purity of language. Therefore, the linguists used their words; and it was the first Arab tribe to emulate rhetoric and elocution.

Study Conclusion: Huthel tribe was not among the first Arab tribes that accepted Islam, but rather strongly opposed it. Then its men quickly converted ti Islam and went out Mujahideen (fighters) for the sake of Almighty God, raising the banner of Jihad wherever they landed though their most remarkable mark was their scientific and literary superiority.

Keywords: Tribe, Huthel, Sector, Suwa, Manah, Al-Raji, Lihyan.

د. محمود محمد السيد خلف. حاصل على الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة الأزهر، عام 2009م. يعمل حالياً أستاذاً مشاركاً للتاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية، ولاية منيسوتا، الولايات المتحدة الأمريكية. الاهتمامات البحثية: آفاق فكرية، وأنثروبولوجية الأديان، والجامعة الإسلامية، والإبداع الرياضي، والمحترف، والفضاء المغاربي، والتعليمية، وجسور المعرفة.
(mahmoudkhalf141973@gmail.com)